

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

- 1 -

يدعو العمل الأدبي ذو الميزة الخاصة قارئه لقراءته، وتظل هذه الدعوة تلح على القارئ بشكلٍ منتظم ومستمر، فتكون الاستجابة ثم التفاعل والامتزاج مع النص بشكلٍ إبداعي منتج، وبهذا يكون فعل القراءة بمثابة حركة فنية إبداعية، وليست مجرد استهلاك لمقتضيات النص، وتتولد هذه الحركة الفنية الإبداعية مع التفاعل القرائي للنص، فتُعيد إنتاجه من جديد مشكلاً برؤى إبداعية قرائية، وتتحرك تلك الرؤى في ثنائية حيوية إيجابية تبدأ من المبدع الأول للنص، ثم للقارئ؛ ذلك المتلقى - المبدع الثاني له -.

والنص أو العمل المقروء - في هذه الحالة - لا يتوقف عن العطاء. إنه ذلك العمل المفتوح (كما يسميه إمبرتو إيكو)؛ الذي يولد بانفتاحه حركية الفعل التعبيري بينه وبين القارئ.

- 2 -

ومجموعة «الدموع لا تمسح الأحزان» لـ(طه وادي) من الأعمال التي تدعو القارئ بلهفة وإلحاح لقراءتها، وذلك لأنها ترسم علامات مميزة في تراثنا القصصي؛ فهي تمثل سياقاً تعبيرياً له ملامحه الخاصة في الكيفية التقنية للعمل القصصي الحديث.

فنحن في هذه المجموعة أمام عالم فني خصب، بل شديد الخصوبة، تتنوع أساليبه التقنية بفعل امتزاج ثنائية الخبرة الإبداعية مع الخبرة النقدية. والعمل الأدبي - قبل كل شيء - تقنية تمثل مهارة صاحبها، إنه كشف لتفاعلات التجربة، وتبدو هذه التفاعلات ظاهرة بفعل المقدرة التقنية.

- 3 -

وتمثل أعمال صاحب هذه المجموعة (طه وادى) ظاهرة قصصية لها خصوصيتها في المساحة الروائية العربية، فقد استطاع تقديم نوع من الفن القصصى المتعدد الشكل تحكمه طبيعة هندسية مهدفة، ولذلك فإن أعماله تمثل هندسة روائية لم تتحقق لأحد من قبله. فلقد أراد هذا الكاتب أن ينتقل بالعمل الروائي نقلة نوعية مؤسسة على استيعاب الفن القصصى بكل أبعاده، ثم الانطلاق بعد ذلك إلى آفاق رحبة من التقنيات الجديدة، وبذلك تمثل أعماله (القصصية) كلها إضافات بارزة في هذا الميدان، لأنها تصنع رؤية متكاملة كونها الكاتب برشاقة مقصودة، فكل عمل يضيف للآخر، كما يرتبط معه ارتباطاً تقنياً متناغماً بفعل الرؤية الواعية وبراعة التشكيل.. وبذلك تأتي أعماله كلها كقصيدة متناغمة، فلا ترى فروقاً شاسعة بين الرواية والقصة، حيث يأتي الاختلاف فقط في المساحة الكتابية، والحجم الكتابي أيضاً، فالفرق بين النوعين - كما يقول الكاتب نفسه - «لا ننفي التقارب النوعي وإنما نشبه».

لقد امتزج الوعى النقدي لصاحب هذه المجموعة مع المقدرة التقنية المتجددة امتزاجاً عظيماً في أعماله كلها، فظهر باديًا في طبيعة التقنية ذاتها، الأمر الذى ولّد ثراءً متعدد الاتجاهات.

- 4 -

إنَّ مصطلح الإيقاعات - الذى اخترناه عنواناً لهذا البحث - مضافاً إلى مصطلح الشعرية يطمح في التمكن من جمع الخصائص «التقنية» لمجموعة «الدموع لا تمسح الأحزان» باعتبارها طاقة سردية لها زخمٌ ثرى.

وعندما نصف هذه المجموعة بخاصية الشعرية فإننا نقصد بالضرورة طبيعتها الإبداعية، والتي تخرج من الإطار التقليدى إلى مساحات فنية شاسعة، فقد وعها كاتبها بقصدية دقيقة.

لقد تمرت طبيعة الحركة الإبداعية في هذه المجموعة على الإطار القصصى التقليدى الذى يعيه صاحبها جيداً، إنها تُريد تشكيل مساحات فنية متعددة، حيث تتداخل العناصر

والأساليب، كما تمتزج وتتشابك طرق التقنية في نسيجٍ فريد جديد، يستمد - بوعى - أبعاده من مقدرة تقنية تطورية واعية.

إنَّ أعمال (طه وادي) تمثِّل دواوين قصصية - كما يطلق عليها بنفسه -، فكان لها سماتها التكوينية؛ حيث نرى رغبة الكاتب في نقل الفن القصصي من حيِّزه النوعي التقليدي صانعاً منه قصائد قصصية جديدة.

وانطلاقاً من هذه الخصائص التقنية فإنَّ دراستنا لهذه المجموعة قد انطلقت من هذه المحاور.